مجلد 09 (عدد 02)/2024، ص 4–15 مجلة العمارة وبيئة الطفل ISSN 2478-0014 EISSN: 2710-8252

أثر مظاهر التغيرات المورفولوجية للنسيج العمراني على هوية المناطق التراثية حالة قصر بوسعادة
The impact of morphological changes in the urban fabric on the identity of heritage areas, the case of Bou-Saada Palace

محمد سفيان دغـة*[1]، البشير فايـد[2]

[1] مخبر المدينة، البيئة، الري والتنمية المستدامة ، جامعة المسيلة (الجزائر) ، mohamedsoufiane.dogha@univ- msila.dz

[2] مخبر المدينة، البيئة، الري والتنمية المستدامة ، جامعة المسيلة (الجزائر) ، bachir.faid@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام : 2024/06/09 تاريخ القبول : 2024/07/15

ملخص: مع التطورات العمرانية والاجتماعية والاقتصادية الحديثة للمدن، أصبحت العديد من المناطق التراثية تحت تهديد اندثار هويتها العمرانية الأصيلة، فهذه المناطق ومنها قصر بوسعادة الذي يزخر بتراث عمراني أصيل، أصبح يعاني نسيجه العمراني من طغيان الطابع الحداثي فيه، وذلك بسبب ضياع ما يحتويه من عناصر تراثية من جهة، وعدم توافق التطوير العمراني الحديث (التدخلات العمرانية المخططة والعشوائية) في أغلب الأحيان مع هويته العمرانية الأصيلة من جهة أخرى، نهدف من خلال بحثنا الى تشخيص واقع التغيرات المورفولوجية لعناصر النسيج العمراني لقصر بوسعادة، ومحاولة معالجة ذلك ليتم المحافظة عليه وحمايته، معتمدين في ذلك على "المنهج الوصفي التحليلي للمنطقة التراثية لقصر بوسعادة وتشخيصه، فضلا عن المنهج الاستقرائي لمعرفة التغيرات المورفولوجية التي حدثت على نسيجه العمراني ومدى تأثيرها على هويته العمرانية أولا، ثم تقديم حلول واقتراحات من شأنها تحقيق الحفاظ على الهوية العمرانية لقصر بوسعادة وإعادة تأهيله.

الكلمات المفتاحية: مناطق تراثية؛ التغيرات المورفولوجية؛ نسيج عمراني؛ هوية عمرانية؛ قصر بوسعادة.

Abstract : With the modern urban, social and economic developments in cities, many heritage areas are under threat of the disappearance of their authentic urban identity, These areas, including Bou-Saada Palace, which is rich in authentic urban heritage, began to suffer in its urban fabric from the predominance of its modern character, due to the loss of the heritage elements it contains on the one hand, and the incompatibility of modern urban development (planned and random urban interventions) in most cases with its original urban identity from the other side, Through our research, we aim to diagnose the reality of morphological changes in the elements of the urban fabric of Bou Saada Palace, and try to address this in order to preserve and protect it, relying in this on the “descriptive and analytical approach” and its diagnosis of the heritage area of Bou-Saada Palace, In addition to the inductive approach to determine the morphological changes that occurred on its urban fabric and the extent of their impact on its urban identity first, then providing solutions and suggestions that would achieve the preservation of the urban identity of Bou Saada Palace and its rehabilitation**.**

Keywords : Heritage areas ; Morphological changes ; Urban fabric ; Urban identity ; Bou-Saada Palace.

*المؤلف المرسل

مقدمة :

تعتبر المناطق التراثية والحفاظ عليها أحد الأولويات الهامة في سياسات الدول، حيث تبذل جهود عالمية ومحلية خاصة بكل دولة من أجل ضمان حماية وترقية هذا الجزء الهام من الحضارة الإنسانية، وأن تكون هذه المناطق التراثية دور في المجتمع المعاصر، وأن يتم نقلها الى الأجيال القادمة في أفضل حالة ممكنة (**موراي و مكاي ، 2023، ص6**)، خاصة في عصرنا هذا الذي أصبح فيه العالم أشبه بالقرية الكونية الصغيرة، مما زاد أهمية المناطق التراثية باعتبارها تجسيدا ماديا لحضارة الشعوب، والحفاظ عليها يعني الحفاظ على هويتها العمرانية المميزة لها، واثباتا ماديا على أصالتها واستمراريتها (**شتيح، 2019، ص1**).

في حين أن هذه المناطق التراثية تتعرض للتغيرات عبر الزمن والانقطاع عن استمرارية التوافق في بعض أجزاء نسيجها العمراني التقليدي، وأن طبيعة هذه العلاقات بين العناصر تتغير بتغير التوجهات الفكرية والحضارية (**Gosling & Maitland, 1984, p1**) وكذا الاتجاهات التخطيطية والعمرانية المعاصرة، المبنية على مبادئ ومعايير لتخطيط المدن الحديثة (**لطرش، 2009، ص59**)، ولتكييفها ومسايرة هذه التوجهات كان لزاما التدخل العمراني على النسيج الحضري للمناطق التراثية سواء كان مخططا أو عشوائيا لتحسينه سواء من الجهات الرسمية أو غير الرسمية، وفق مجموعة من المشاريع (الهدم وإعادة البناء، التجديد والحفاظ، التهيئة والتطوير، التوسيع وتعديل البناء....الخ)، مما ولدت أنماط بنائية وكتلية وطرز معمارية جديدة مختلفة، لعدم مواكبتها لمتطلبات وجودة الحياة العصرية، حيث تم إزالة أجزاء من النسيج العمراني وتعويضها بها، مما تسببت في فقدان الاستمرارية والترابط والتوافق بين القديم والجديد المضاف، فضعفت وفقدت الهوية العمرانية للنسيج العمراني الخاصة بالمناطق التراثية واندثرت (**سلام، 2011، ص15**)، نتيجة للتحولات المستجدة على حياة الانسان الذي يقطنها ويرتادها (**أسامة و رشا، 2023، ص2012**) وعليه يمكن تحديد ثلاث مستويات خاصة بالتغيرات استجابة لعدم قدرة النسيج العمراني بالمناطق التراثية على ملائمة التطورات التي تفرضها المتغيرات المحيطة به، وتتمثل هذه المستويات في:

- **مستوى الهيكل والتكوين العام للنسيج العمراني:** وهو الذي يمس وظيفتها وتوزيع استخدامات الأرض فيها وتقسيماتها الاجتماعية ومقوماتها الاقتصادية كالتغيرات (النشاطات الأولية والثانوية، ظهور وظائف جديدة واندثار الأخرى، التركيبة الاجتماعية، تنظيم المجتمع، النظام الاقتصادي والأنشطة...الخ).
- **مستوى العناصر التراثية والتاريخية:** والذي يكون فيه التغير عفوي أو مخطط، حيث يمس (شبكات الطرق، الأسواق، الساحات والمناطق المفتوحة، المباني التاريخية...الخ).
- **مستوى العناصر المعمارية:** والذي يمس العناصر المميزة للطرز المعمارية وتفاصيلها المختلفة (المواد الانشائية والبناء، شكل وحجم المبنى، الواجهات، الارتفاعات، .... الخ).

وتعتبر الجزائر بلدا غنيا بتراثه العمراني، حيث يتوفر على عدد مهم من المناطق التراثية، بالإضافة الى تواجد العديد من القصور والقصبات خصوصا في المناطق الجنوبية، وقد شهدت الجزائر منذ عهدها الأول بالإسلام نموذجا عمرانيا متميزا، لعب أدوارا حيوية في المجالات الدينية والسياسية والاقتصادية والحضارية، وانفرد بأساليب تقنية وعناصر تختص بها وتميزها عن غيرها، ولقد عرفت القصور تطورا وتنوعا بحسب الظروف المحلية الطبيعية والبشرية، التي طبعت الهوية الجزائرية.

حيث تعتبر القصور الجزائرية من بين مكونات المناطق التراثية المهمة لمدنها، فهي تمثل تراثا عمرانيا ومعماريا مهما تتميز بأساليب وطرز معمارية وتقنيات انشائية محلية، تبين قدرة الانسان على استوحاء مبدأ الهندسة من المكونات البسيطة المحيطة به (**خواجة و رضائي، 2021، ص ص15–40**)، فهي ثروة حضارية ارتبطت بأبعاد دينية واجتماعية وسياسية وفنية، وبهذا تكون القصور مرجعية تاريخية وثقافية حاسمة في تركيز دعائم ومقومات الهوية المحلية والوطنية وتقوية الشعور بالانتماء (**سومية، 2022، ص12**).

ولقد شهدت الجزائر في السنوات الأخيرة بفعل تيارات العولمة عدة تغيرات، أدت الى تراجع المكون العمراني والمعماري للقصور، وإنتاج أنماط معمارية مختلفة انسلخت عن الهوية العمرانية الجزائرية، ومن خلال معاينتنا لقصر بوسعادة والذي يمثل النواة الأولى للمدينة وتاريخ المنطقة وتراثها، حيث يمتاز نسيجه بهوية عمرانية فريدة من نوعها والمتمثلة في أسلوب بنائه ومواد انشائه وطرق تشييده (أبنية تراثية، أسواق وحارات شعبية، ومساجد عتيقة، وطرق وأزقة وخدمات تحتية وغيرها...الخ)، فانه يعاني من ضغوط التوسع العمراني والتغير الوظيفي وكذا طغيان الطابع الحداثي فيه، وذلك بسبب ضياع ما يحتويه من تراث عمراني أصيل من جهة، وعدم توافق التطوير والتوسع العمراني وأنشطة البناء الحديثة مع طبيعة هذه الأماكن في أغلب الأحيان، ومع الهوية العمرانية فيه من جهة أخرى، نتيجة تعرض نسيجه العمراني المنفرد لعمليات تدخلات (مخططة وعشوائية) لتوسعة وتجديد

المباني والطرقات، مما شوهت طابعها العمراني والمعماري والانشائي، ترتبت عن ذلك تغيرات وأضرار هيكلية على نسيجه العمراني وبالتالي فقدان هويته العمرانية.

1. الطريقة والأدوات:

1.1. تقديم قصر بوسعادة:

يقع قصر بوسعادة في الحدود الشرقية الشمالية للمدينة، يحده من الشمال الطريق الوطني رقم 76، ومن الجنوب والشرق وادي بوسعادة، ومن الغرب الطريق الوطني رقم01 وهو يتكون من 2083 مسكن بها 10868 نسمة، تتربع على مساحة إجمالية تقدر بـ 22.7 هكتار، حيث يعتبر جامع النخلة النواة الأولى للنسيج العمراني للمدينة، وبه العديد من الحارات منها العشاشة أولاد عتيق الزقم الديار الجدد الشرفة وأولاد حميدة.

يعتبر القصر النواة الأولى لمدينة بوسعادة، يقع في الحدود الشمالية الشرقية للمدينة، ويحدها شريط من الطرق الميكانيكية من ثلاث جهات، كما يحدها وادي بوسعادة من الجهة الأخرى:

- من الجنوب الغربي، يحدها شارع الجمهورية (Boulevard de la République)، الذي تلتقي فيه شبكة الطرق والمرافق والمحلات التجارية، وحي بلاطو.
- من الشمال الغربي، شارع إتيان ديني، (Etienne DINET) والتي تصطف على جانبه منازل تابعة للقصر، وكذا طريق الجلفة وحي 19 جوان.
- ومن الشمال الشرقي، الطريق الجديد المؤدي إلى بستان النخيل، تحده سلسلة من المنازل التابعة للقصر أيضا.

الشكل (01): موقع قصر بوسعادة

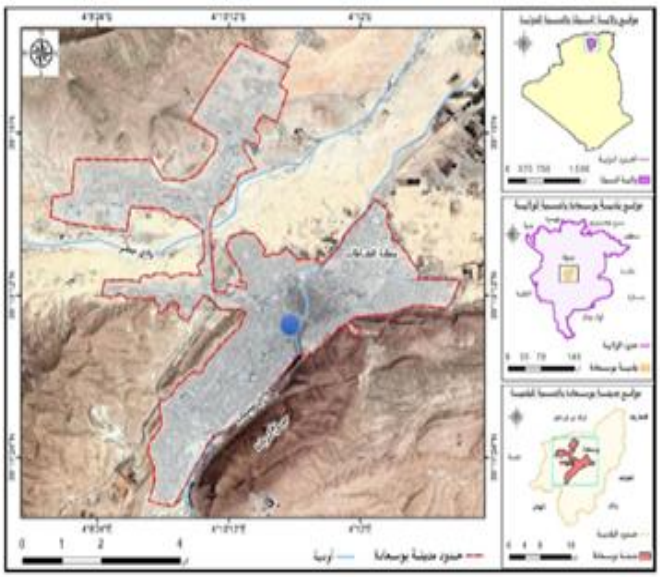

الشكل (02): الحدود الخارجية للقصر

المصدر: (الباحثان، مارس 2024)

وتمثل مدينة بوسعادة بالقصر الذي تأسس في القرن الثالث عشر على أعلى نقطة من التلة المحاذية للوادي، يتميز بنسيج عمراني متراص حيث ترتبط المنازل ببعضها البعض على شكل أحجام مكعبة خالية من الفتحات (عدا مداخل الهواء والضوء الصغيرة) وهو المنزل المغلق على فنائه ويمثل الشارع مسارا متعرجا وهو غالبا ما يتوقف عند طريق أو شارع مسدود عند آخر منزل، ويتم تقليله إلى الحد الأدنى للحفاظ على الحد الأقصى لمساحة السطح وبالتالي الحجم المتاح للمنازل، كما أن الشوارع لا تتعرض للشمس لفترة طويلة (فهي مظللة)، لذلك فهي مليئة بالتيارات الهوائية ويختلف فناء منازل القصر من خلية إلى أخرى حسب الأبعاد والمساحة الإجمالية لكل قطعة أرض، كما أنه يعمل كمنظم حراري للمنزل **(Taibaoui, 2008, p131)** .

الصور (01) (02): منظر عام لقصر بوسعادة

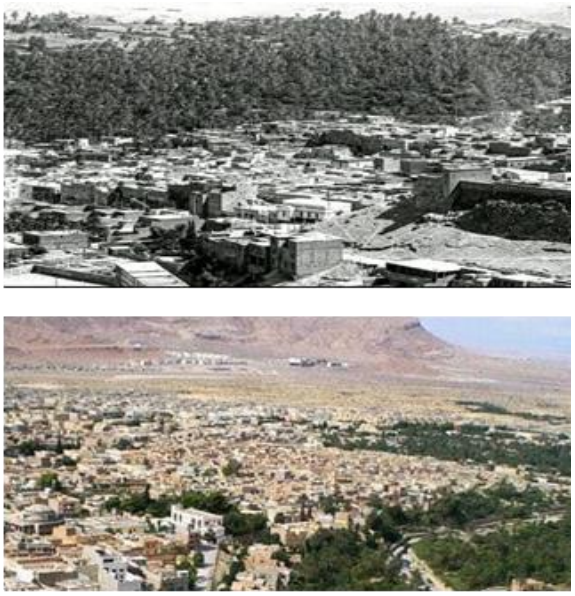

المصدر: saba-bousaada.net, 2024

الشكل (03): النسيج العمراني للقصر

المصدر : Belouadah, 2011, p121

ينقسم هذا القصر نفسه إلى عدة مناطق تتوافق مع الفصائل القبلية الرئيسية التي عاشت هناك (أولاد حميدة، الشرفة، المامين، أولاد عتيق، الزقم)، حيث تم بناء منازلها حول قلب المدينة القديمة في تخطيط غير منتظم، وفقا لتضاريس الأرض وتتوقف عند حواجز طبيعية غير قابلة للعبور (الوادي، بستان النخيل، الكثبان الرملية)، مما يقدم الطابع الخاص للقرى الصحراوية ومع ذلك فإن هذه المنازل المدعومة أحيانا بجذوع النخيل تم تصميمها بعناية تحترم فيها الظروف الطبيعية والاجتماعية، لذلك يشكل قصر بوسعادة اليوم مرجعا في الانسجام التام بين الطبيعة والتنظيم الاجتماعي ونظام التحضر وهيكلة نسيجه العمراني، والنمط المعماري والتحكم في الموارد المائية والتوازن البيئي، حيث يجدها العديد من الكتاب والباحثين والفنانين مصدرا من الإلهام **(Taibaoui, 2008, p131)** .

الشكل (04): تقسيم قصر بوسعادة الى مناطق

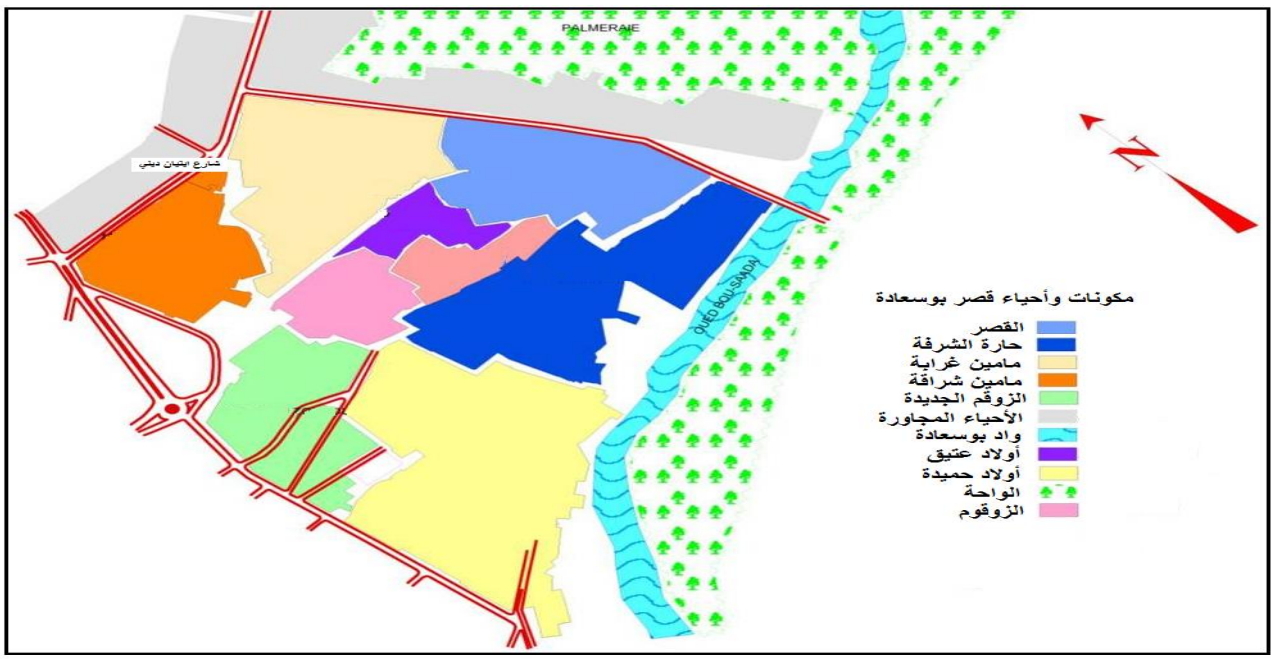

المصدر: Belouadah, 2011, p 118

كما تشير الاحصائيات الخاصة بمكونات قصر بوسعادة الى:

جدول (01): البطاقة الفنية للقصر بوسعادة

مساحة القصر	22.7 هكتار
الارتفاع عن مستوى سطح البحر	560 م
عدد السكان	10868 ساكن
عدد العائلات	1609 عائلة
عدد المباني	2083
عدد المباني الفارغة	297
عدد المباني المستغلة	1786
مباني ذات استخدامات وظيفية	132
عدد التجهيزات	25
الأنشطة التقليدية	الحرف اليدوية، السياحة
الأنشطة الجديدة	التجارة، البناء، الفلاحة

المصدر: بلدية بوسعادة، 2024

2.1. المنهجية

نظرا لطبيعة موضوع الدراسة ومحاولة الوصول إلى كافة تطلعاته، كان لزاما علينا اعتماد مختلف المناهج المستعملة في البحوث والدراسات الأكاديمية، وذلك كلما دعت الحاجة البحثية لذلك، حيث استعملنا المنهج الوصفي التحليلي عند التعرض لمظاهر التغيرات المورفولوجية للنسيج العمراني للمنطقة التراثية، فضلا عن المنهج الاستقرائي لمعرفة واقع التغيرات التي حدثت على نسيجها العمراني وأثرها على هويتها العمرانية، آخذين في ذلك كدراسة حالة قصر بوسعادة.

3.1. الأدوات

للبحث عن حلول وتفسيرات للأوضاع الراهنة والواقعية لقصر بوسعادة والاشكالات القائمة، اعتمدنا في ذلك على مجموعة من الأدوات المستخدمة في جمع المعلومات والبيانات، والتي تتمثل في المسح المكتبي للاطلاع على ما تم تناوله في إطار دراستنا بهدف إرساء الدعامة النظرية له (البحوث والدراسات، الندوات والملتقيات، شبكات الأنترنت)، وكذا المشاهدات والملاحظات الميدانية والمقابلات الشخصية مع مختلف ممثلين الادارات الوصية، أيضا المعطيات والبيانات المأخوذة من طرف المصادر الرسمية لمعالجتها كالسجلات والوثائق المؤرشفة.

2. النتائج والمناقشة

لقد حدثت تغيرات كبيرة على النسيج العمراني لقصر بوسعادة، حيث انعكست هذه التغيرات على هوية المنطقة التراثية للقصر من شكل ونوع النسيج العمراني بكل خصائصه، الشيء الذي جعل العديد منها يفقد ملامحه وهويته الأصلية وأصبح مهددا بالاندثار كليا أو جزئيا، ولتوضيحها اعتمدنا على مجموعة من المعايير العمرانية لتقييمها والتي لها علاقة بالهوية العمرانية، والمتمثلة في:

1.2. معيار الارتباط البيئي والمكاني:

من أهم مميزات النسيج العمراني لقصر بوسعادة سابقا ارتباطه بالمكان، من خلال ذلك التناغم بين البيئة المشيدة المتمثلة في النسيج العمراني والبيئة الطبيعية، حيث يتشكل النسيج العمراني في مستويات مرتفعة نسبيا ومنبسطة على جانبي الوادي، مما يساعد على حماية النسيج العمراني من الأخطار الطبيعية ومن السيول والعواصف الرملية وغيرها .

أما حاليا شهد القصر تغيرات كبيرة في نسيجه العمراني من خلال الامتداد والزحف العمراني (البنايات والمباني السكنية الجديدة للقصر) مما قللت من توافقه وارتباطه مع محيطه المكاني، هاته المباني الجديدة امتدت بجوانب حواف وادي بوسعادة دون ترك المساحات المطلوبة للارتفاقات (أنظر الصور) مغيرة بذلك حدوده الخارجية مما أثرت في انفصاله عن بيئته الطبيعية المحيطة به.

الصورة (03): سكنات بحافة واد بوسعادة

الصورة (04): التمدد العمراني باتجاه الواد

المصدر: الباحثان، مارس 2024

2.2. معيار النسق العام للتشكيل العمراني:

يتشكل قصر بوسعادة سابقا من نسق عمراني متناغم ومتوافق يحافظ إلى حد كبير على حساسية النظم البيئية القائمة ويراعي مسار الوادي ويتكامل معه، ويؤسس لعلاقة ايجابية بين النسيج العمراني للقصر والمكان والزمان، ومن أهم مميزات النسق العام لتشكيل الكتلة البنائية مراعاة الظروف الطبيعية والاستفادة من الأنشطة والمواد المحلية، باعتبارها مقومات تنموية تلعب دورا في النسق العام لتشكيل النسيج العمراني للقصر.

أما تشكيل النسيج العمراني الحالي لقصر بوسعادة والتغيرات التي طرأت على شكل المباني وارتفاعاتها وحجمها وكذا واجهاتها وأيضا مواد البناء الخاصة بها (استعمال الاسمنت والرمل...الخ في جميع أنواع التدخلات) أثرت بشكل كبير في النسق العام لشكل النسيج العمراني للقصر، حيث طغى على شكل هذه البنايات والمباني الجديدة النمطية والتكرارية وتتشابه إلى حد كبير في تشكيلها العام وتكوينها مع غالبية مباني الأحياء السكنية الحديثة والمجاورة للقصر ومدينة بوسعادة، مما أثرت على الهوية العمرانية له.

الصورة (05): عدم تناسب الشارع مع ارتفاع المبنى

الصورة (06): عدم تجانس في ارتفاعات المباني للقصر

المصدر: الباحثان، مارس 2024

الصورة (07): استعمال مواد جديدة الصورة (08): تغيير في أشكال وواجهات المباني الصورة (09): سكنات ذات طوابق متعددة

المصدر: الباحثان، مارس 2024

3.2. معيار النمط العمراني للكتلة البنائية للنسيج:

يتميز النمط العمراني التقليدي المتضام للقصر من حيث التصميم (الفني والمعماري) بعدم الانتظام في المساحة وشكل الكتل البنائية، والتداخل في الوحدات المعمارية والبنائية لتحسين الظروف البيئية بالمناطق الحارة، واستعمال أيضا مواد البناء المحلية (الطين، النخيل، الاعمدة الخشبية والقصب.... الخ).

شهد قصر بوسعادة حاليا تغيرات كبيرة نتيجة التدخلات العشوائية على النسيج العمراني وذلك لتكييفه مع المتطلبات الحالية (الوظيفية والاجتماعية والبيئية والاقتصادية) للسكان، حيث تعددت فيه المشاكل التخطيطية (الكتلة والفضاءات) مما نتج عنه النمط العمراني المركب (أنماط عمرانية جديدة ورديئة وأخرى مهدمة)، حوالي 70% من السكنات تجددت، كذلك اتسعت المساكن لتزايد متطلبات المكان وتغيرات حاجات السكان المختلفة (الثقافية، الاجتماعية، الاقتصادية)، من حيث توسع غرف النوم والمطابخ وضرورة وجود مرآب السيارة ووجود الحديقة (أنظر الشكل (06))، الشيء الذي أدى إلى اتساع مساحة المسكن وتغير شكله ليتماشى مع حاجات السكان الحالية، كل هذه العناصر السابقة أثرت على النسيج العمراني وبالتالي على الهوية العمرانية للقصر.

الشكل (05): حالة السكنات بالقصر الشكل (06): تغير في نوعية السكن

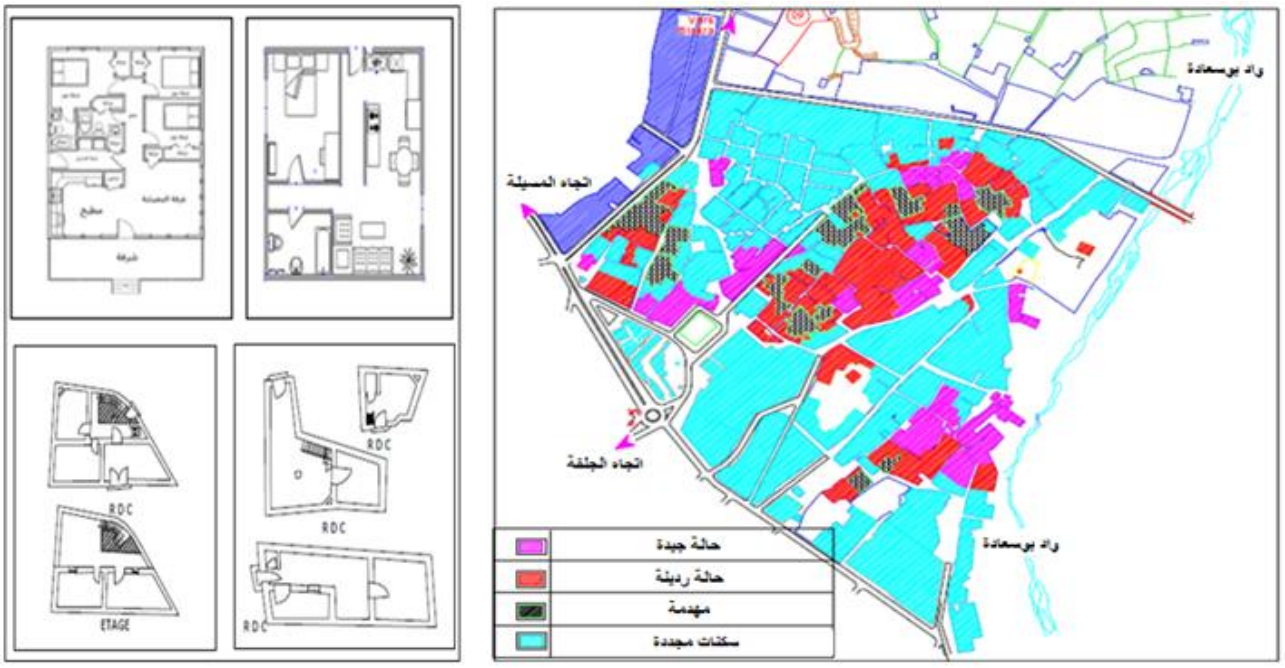

المصدر: Belouadah, 2011, p146

الصور (10) (11): تداخل في أنماط المباني (القديم والجديد)

المصدر: الباحثان، مارس 2024

4.2. معيار توزيع الفضاءات العمرانية:

ترتبط أنساق الفضاءات العمرانية سابقا في قصر بوسعادة بتوزيع الأنشطة الخدمية والأسواق والمنشآت والتجهيزات العمومية، وذلك في تشكيل عضوي ووظيفي متناغم، ومن أهم ايجابياتها الارتباط بشكل مباشر بالنسيج العمراني والأنشطة الوظيفية والنطاق الطبيعي ومنها مسارات الأودية والواحات والبساتين في محيطها المكاني.

أما حاليا وبعد التدخلات على النسيج العمراني للقصر فإن فضاءاته تغيرت وارتبطت بشكل أساسي بالتشكيل الهندسي لتخطيط وتصميم الأحياء السكنية، حيث غلب عليها التوزيع النمطي لتقسيمات الأراضي والمباني، مما انفصلت نسبيا عن المحيط الخارجي للكتلة البنائية للنسيج العمراني، وعدم الاستفادة الكافية من إمكانيات انفتاحها فراغيا على مسارات الطرق والشوارع الرئيسية وحتى الأودية المطلة عليها والاعتبارات البصرية المتاحة بالموقع.

الصور (12)(13)(14): حالة الفضاءات العمرانية

المصدر: الباحثان، مارس 2024

الشكل (07): توزيع الفضاءات العمرانية للقصر

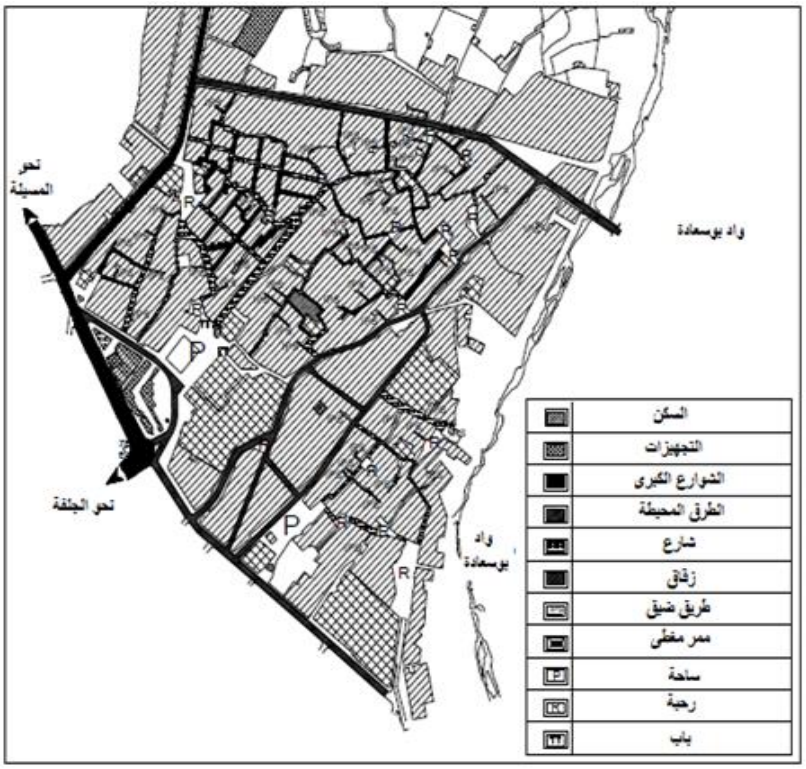

المصدر: Belouadah, 2011, p134

5.2. معيار توزيع الخدمات والوظائف:

كان يتسم قصر بوسعادة سابقا بتمركز الخدمات الدينية في نسيجه العمراني، مما يعكس ارتباط المجتمع بالقيم الدينية والعادات والتقاليد، وبالنسبة للخدمات التجارية والأسواق المركزية فإن غالبيتها تقع في مناطق تجمع الأنشطة الحياتية للسكان وتأخذ في اعتبارها المحيط المكاني للنسيج العمراني وخصائص البيئة الطبيعية .

أما توزيع الخدمات والوظائف حاليا بالقصر فإنما ترتبط هندسيا بالتشكيل النمطي للأحياء والمجاورات السكنية ونطاقات الخدمة، وهذا النمط في التوزيع لا يحقق توازن نسبي في توزيع الخدمات وتدرجاتها وتوسطها النسيج العمراني، فهي تتوزع وتتركز على محيط وحدود القصر، مما أثرت في عدم تحقيق التوزيع المتكامل والمتوازن للخدمات والوظائف على النسيج العمراني للقصر.

الصور (15) (16) (17): توزيع الخدمات والوظائف على محيط وحدود القصر

المصدر: الباحثان، مارس 2024

6.2. معيار منظومة الحركة:

يعتمد نظام الحركة في قصر بوسعادة على نسيج عضوي يتميز بالأزقة الضيقة والمتعرجة والتي لا تتبع نظام موحد من حيث الاتساع والاتجاه، فهي متوافقة مع تضاريس الموقع والخصائص الطبيعية والاجتماعية داخل وخارج النسيج العمراني، مما يساعد على تناسبها فراغيا إلى حد كبير مع الكتل البنائية الواقعة عليها ونمط وظروف الحياة التي كانت سائدة بالمكان (المقياس الإنساني، النهايات المغلقة، التدرج الهرمي).

شهد القصر تغيرات كثيرة من خلال دخول وسائل النقل الميكانيكية من السيارات والعربات مجال الاستعمال في نقل الأشخاص والبضائع، وبالتالي كان لا بد من إيجاد نوع من الشوارع التي تستوعب هذه الوسائل، فظهرت شوارع جديدة تتصف بالاستقامة والاتساع من خلال التدخلات العمرانية عليها (فقدان النهايات المغلقة والتدرج الهرمي) مما غيرت من شكل النسيج العمراني للقصر.

الشكل (08): التغير في التيبومورفولوجية للإطار المبني لفتح الشوارع لجزء من القصر

المصدر: Belouadah, 2011, p142

صور (18) (19) (20): حالة الشوارع الجديدة المتدخل عليها

المصدر: الباحثان، مارس 2024

7.2.معيار الشخصية البصرية والطابع العمراني:

من أهم السمات العمرانية لقصر بوسعادة سابقا شخصيته البصرية المتميزة، وأهم خصائصه مراعاة المقياس الإنساني في تشكيل النسيج العمراني من حيث الأبعاد الفراغية، ونسب الفتحات للواجهات، وتشكيل نهايات الشوارع، واستخدام مفردات بصرية متناغمة، بالإضافة الى توافق الألوان وتشكيل الأسطح الخارجية والتأكيد على الخطوط العرضية التي تناسب البيئة المحلية، وهذه الخصائص العمرانية مجتمعة تعكس روح ونمط وظروف الحياة بالمكان.

أما حاليا فغالبيتها لا تعكس طابع عمراني واضح حيث تختلط فيها المفردات العمرانية المقتبسة من بيئات أخرى مع مفردات تحاك الطابع التقليدي، وعدم استخدامات المفردات البصرية المتناغمة، مع عدم توافق الألوان وتشكيل الأسطح الخارجية ونسب الفتحات للواجهات، وبالتالي فان الشخصية البصرية تعد غير متوافقة بالشكل الكافي مع المنطقة التراثية للقصر.

صور (21) (22) (23): عدم توافق ألوان ومواد البناء ونسب فتحات الواجهات

المصدر: الباحثان، مارس 2024

صور (24) (25) (26): تشكيل الأسطح الخارجية للواجهات

المصدر: الباحثان، مارس 2024

صور (27) (28) (29): تشوه الصورة البصرية للنسيج العمراني للقصر

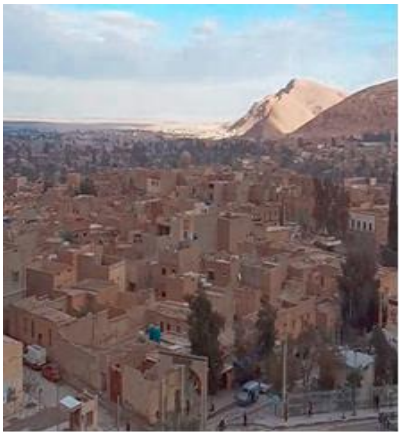

المصدر: الباحثان، مارس 2024

الخلاصة والتوصيات

غزت معظم المناطق التراثية في الجزائر والتي من بينها قصر بوسعادة، الذي يمتاز نسيجه بهوية عمرانية فريدة من نوعها (أسلوب بنائه، مواد انشائه، طرق تشييده) الطرز المعمارية الجديدة بشكل ملفت لتغيره إلى ما يشبه الفوضى العمرانية، من خلال ظهور أشكال ومشاهد عمرانية جديدة من جهة، ووظائف اقتصادية من جهة أخرى، مما ولدى تصادم شديد بين الطراز التقليدي والحديث، هاته الأخيرة أثرت على هيكلة وتنظيم ومظهر النسيج العمراني للقصر، وكذلك على نوعية الحياة لسكانها، وبالتالي فقدان ذاكرة المكان وتضييع الهوية العمرانية الحقيقية للقصر، من خلال:

- غياب التناغم والارتباط بين البيئة المشيدة المتمثلة في النسيج العمراني لقصر بوسعادة والبيئة الطبيعية له.
- غياب النسق العام لشكل النسيج العمراني للقصر، جراء التغيرات التي طرأت على شكل المباني وارتفاعاتها وحجمها وكذا واجهاتها ومواد البناء الخاصة بها.
- فقدان النمط العمراني التقليدي للنسيج المتضام للقصر، وذلك بعدم الانتظام في المساحة وشكل الكتل البنائية، والتداخل في الوحدات المعمارية والبنائية له.
- غياب التشكيل العضوي والوظيفي المتناغم بين الأنشطة الوظيفية والفضاءات العمرانية والنطاق الطبيعي للنسيج العمراني للقصر .
- عدم تحقيق التوزيع المتكامل والمتوازن للخدمات والوظائف وتدرجها على النسيج العمراني للقصر.
- عدم تناسب منظومة الحركة الحالية مع النسيج العمراني التقليدي (دخول وسائل النقل الميكانيكية) أدى الى فقدان المقياس الإنساني والنهايات المغلقة، وكذا التدرج الهرمي للشوارع والطرق.
- فقدان الشخصية البصرية المتميزة في تشكيل النسيج العمراني للقصر (مراعاة المقياس الإنساني من حيث: الأبعاد الفراغية، ونسب الفتحات للواجهات، وتشكيل نهايات الشوارع، واستخدام مفردات بصرية متناغمة، توافق الألوان وتشكيل الأسطح الخارجية).

وبناءا على كل ما سبق وللحفاظ على الهوية العمرانية للنسيج العمراني لقصر بوسعادة، فإننا نوصي بضرورة :

- وضع شروط صارمة في أي تدخل عمراني وفق مخططات التعمير، تضمن تطبيق الخصوصية والهوية العمرانية (التشكيل العمراني والمعماري) وأهمية مراجعة المخططات الجديدة للحفاظ على الطابع العمراني لقصر بوسعادة.
- اصدار مختلف التشريعات والقوانين العمرانية من خلال عقود وشهادات التعمير التي تراعي مسألة التطوير العمراني والتحكم فيه، بما ينتج عمرانا يتوافق مع الهوية العمرانية للقصر عند تسليمها.
- تحديد خصائص العناصر التراثية الخاصة بالقصر وحصرها ورفعها بدقة وتوثيقها لتسهيل عمليات صيانتها والحفاظ عليها وحمايتها، لما تعكسه من هوية عمرانية والتي هي عرضة للهدم والتغيير بدون وعي لأهميتها.
- ضرورة اشراك السكان في مختلف عمليات التدخلات العمرانية وتعزيز شعورهم بالانتماء، والعمل على توعيتهم بأهمية الحفاظ على الهوية العمرانية للقصر، وكذا تشجيعهم على تأسيس الجمعيات غير الحكومية التي تعني بالتراث العمراني في المجتمع .
- تأسيس خلية تضم مختصين في مجال التراث العمراني والتخطيط، مهمتها الحفاظ على القصر وحمايته، لتفادي تدميره وهدم معالمه التاريخية.
- عقد المزيد من الندوات والملتقيات والمؤتمرات الخاصة بالتراث العمراني للقصر من أجل احيائه وإعادة تأهيله والمحافظة عليه.

الإحالات والمراجع:

1- سومية س، (2022)، التراث المعماري ودوره في تحديد الخصوصية الثقافية لجهة بني ملال، خنيفرة حالة المدن العتيقة، أطروحة دوكتوراه، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة السلطان مولاي سليمان: بني ملال.

2- سارة ل، (2009)، تأثير النمو السكاني في تغيير مورفولوجية المدينة، دراسة ميدانية بمدينة سطيف، رسالة ماجيستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة سطيف، الجزائر.

3- سلام ع، (2011)، التغير في مراكز المدن التاريخية، مجلة المخطط والتنمية، العدد 24-15، ص15.

4- خواجة ع، رضائي و، (2021)، العيش في مواقع التراث الحي بوادي مزاب، الدوافع، التمثلات والاستمرارية، الانثربولوجيا وعلم الاجتماع، غرداية، الجزائر.

5- شتيح ع، (2019)، الحفاظ على التراث المعماري الاسلامي الممارسات والآفاق، دراسة حالة المساجد العتيقة بقصور الأغواط، أطروحة دوكتوراه، كلية الهندسة المعمارية والتعمير، جامعة قسنطينة، الجزائر.

6- أسامة م، رشا م، (2023)، تقييم سياسات الحفاظ على التراث الأثري في ظل نمو النسيج العمراني دراسة مقارنة بين الأقصر وروما، حولية الاتحاد العام للآثاريين العرب، العدد 26-212، ص2012.

7- موراي مو، مكاي جو، (2023)، الدليل الارشادي ومجموعة الأدوات لتقييم الأثر في سياق التراث العالمي، باريس: اليونيسكو UNESCO Publishing.

8- Belouadah N, (2011), Développement urbain et préservation du pâtrimoine architectural dans les médinas Cas de la médina de Bou-saada. Biskra, Mémoire de Magister en architecture, Université Mohamed Khider. Algeria.

9- Gosling B & Maitland D. (1984). Concepts of Urban Deseign. London: Academy Edition.

10- Taibaoui S, (2008), La gestion des disparités inter quartiers: Cas de la ville de Bou-saada. Mémoire de Magister, Gestion des techniques urbaines, Université de M'sila, Algeria.